

193041 - ما حكم القول : بأن بيت النبوة لم يخل من مشاكل زوجية ؟

السؤال

ما حكم من قال : إنه كان في بيت النبي صلى الله عليه وسلم مشاكل زوجية ؟ وهو لا يقصد في ذلك التنقص من النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما يريد بذلك أنه وهو سيد الخلق لم يسلم من هذه المشاكل ، فكيف بمن دونه . . وهل في ذلك انتقاص من قدر أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ؟ وهل هذا الكلام ردة ؟ وكيف تكون التوبة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

ينبغي أن يُعلم أن بيته عليه الصلاة والسلام هو أفضل البيوت وأزكاها ، فهو عليه الصلاة والسلام أحسن الناس معاشرة لأهله ، وأكملهم خلقاً وتعاملاً مع زوجاته عليه الصلاة والسلام .

فقد روى الترمذي (3895) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في " صحيح سنن الترمذي " .

قال ابن كثير رحمه الله : " وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه ، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك ، قالت : سَابَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَقْتُهُ ، وذلك قبل أن أحمل اللحم ، ثم سابقتها بعد ما حملت اللحم فسبقني ، فقال : " هَذِهِ بَتْلُكَ " ، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نساءه في شعار واحد ، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار ، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلاً قبل أن ينام ، يُؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم " انتهى من " تفسير ابن كثير " (2/242) .

ثانياً :

ما يحدث بين الزوجين من مغاضبات ، أو خلاف حول شيء من أمور البيت والمعيشة ، أو نحو ذلك : أمر طبيعي ، وسنة من سنن الحياة الزوجية ، وهو من شأن هذه الحياة الدنيا التي لا تخلو من كدر ، أو تعب ، أو تكدير ؛ وعلى ذلك بُنيت .

وبيت النبوة ربما كان يحدث فيه المرة بعد المرة شيء من ذلك التعب والتكدير ؛ وكان بين نسائه من التغيرات ما يحدث مثله ، أو شبيهه بين النساء ؛ وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما ، فنسأؤه رضوان الله عليهن ، وإن كن خير النساء ؛ فلم يكن معصومات ؛ قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا) سورة الأحزاب / 28 - 29 .

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله : " لما اجتمع نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغيرة ، وطلبن منه النفقة والكسوة ، طلبن منه أمراً لا يقدر عليه في كل وقت ، ولم يزلن في طلبهن متفقات ، في مرادهن متعنتات ، شق ذلك على الرسول ، حتى وصلت به الحال إلى أنه آلى منهن شهراً " انتهى من " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " (ص/662) .

وروى البخاري (5225) عن أنس رضي الله عنه : " كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ ، فَضَرَبَتِ اللَّيْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَأَنْفَلَقَتْ ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقَ الصَّحْفَةَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ ، وَيَقُولُ : غَارَتْ أُمُكُمْ ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أَتَى بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّيِّ هُوَ فِي بَيْتِهَا ، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى اللَّيِّ كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا ، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ اللَّيِّ كَسَرَتْ " .

وروى البخاري (2468) عن ابن عباس رضي الله عنهما - في قصة هجر النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته - يرويه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والحديث طويل ، وفيه : (... وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى الْأَنْصَارِ إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ ، فَصَحْتُ عَلَى امْرَأَتِي ، فَرَاَجَعْتَنِي ، فَأَنْكَرْتُ أَنَّ تُرَاجِعَنِي ، فَقَالَتْ وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ؟! فَوَاللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيرَاجِعْنَهُ ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ الْيَوْمَ حَتَّى اللَّيْلِ (...) .

فالقول بأن بيته عليه الصلاة والسلام لم يخل من بعض ذلك الأمر ، إذا لم يكن على وجه التنقص للنبي صلى الله عليه وسلم ، معاذ الله ، ولا لأهل بيته ، رضوان الله عليهم جميعاً : لا حرج فيه ، وربما كان فيه منفعة لبعض من ابتلي في بيته : أن يتسلى

بذلك الأمر من شأن الدنيا ؛ ويأتسي به عليه الصلاة السلام في طريقة تعامله مع تلك المشكلة .

والله أعلم .